

دلائل الإعجاز

(هِيَ الْبُرْءُ وَالْأَسْقَامُ وَالْهَمُّ وَالْمُنَى ... وَمَوْتُ الْهَوَى فِي الْقَلْبِ مِنْهُ الْمَبْرَحُ) .

(وَكَانَ الْهَوَى بِالذَّائِي يُمَحَى فَيَمَحَى ... وَحُبُّكَ عِنْدِي يَسْتَجِدُّ وَيَرْبَحُ) .

(إِذَا غَيَّرَ الذَّائِيُ الْمُحِبِّينَ لَمْ يَكْدُ ... رَسَيْسُ الْهَوَى مِنْ حُبِّ مِيَّةٍ يَبْرَحُ) .

قال : فلما انتهى إلى هذا البيت ناداه ابنُ شبرمة : يا غيَّلانُ : أراه قد برح ! قال فشقق ناقته وجعل يتأخرُ بها ويتفكَّر ثم قال : .

(إِذَا غَيَّرَ الذَّائِيُ الْمُحِبِّينَ لَمْ أَجِدْ ... رَسَيْسَ الْهَوَى مِنْ حُبِّ مِيَّةٍ يَبْرَحُ) .

قال : فلما انصرفتُ حدثُ أبي قال : أخطأ ابنُ شبرمة حين أنكر على ذي الرُّمة وأخطأ ذو الرُّمة حين غيَّر شعره لقول ابن شبرمة إنما هذا كقول أبي تعالى : (طُلُمَاتٌ بَعَضُهَا فَوْقَ بَعَضٍ إِذَا أَخْرَجَ يَدَهُ لَمْ يَكْدُ يَرَاهَا) . وإنما هو لم يَرها ولم يَكْدُ .

واعلم أنَّ سبب الشُّبهة في ذلك أنَّه قد جرَى في العُرف أن يقال : ما كاد يفعلُ ولم يكْدُ يفعلُ : في فعلٍ قد فُعِلَ على معنى أنَّهُ لم يفعلْ إلاَّ بَعْدَ الجهدِ وبعد أن كان بعيداً في الطَّنَّ أنْ يفعلَه كقولهِ تعالى : (فَذَبْحُوهَا وَمَا كَادُوا أَنْ يَفْعَلُوهَا) . فلما كان مجيءُ النفي في